سورة الغاشية

ورد في تفسير "البرهان" للسيد هاشم البحراني :

[قوله تعالى: { بِسمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ } [الغاشية: 1] - إلى قوله تعالى - { لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً } [الغاشية: 11] . -محمد بن يعقوب: عن جماعة، عن سهل، عن محمد، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ }؟ قال: " يغشاهم القائم بالسيف." قال: قلت: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ }؟ قال: " خاضعة لا تطيق الامتناع." قال: قلت: { عَامِلَةٌ }؟ قال: " عملت بغير ما أنزل الله." قال: قلت: { نَّاصِبَةٌ }؟ قال: " نصبت غير ولاة الأمر.قال: قلت: { تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً }؟ قال: " تصلى نار الحرب في الدنيا على عهد القائم و في الآخرة نار جهنم."

-و عنه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام، قال:سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: " كل ناصب- و إن تعبد و اجتهد- منسوب إلى هذه الآية { عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً } ، و كل ناصب مجتهد فعمله هباء -."و عنه: عن علي، عن علي بن الحسين، عن محمد الكناسي، قال: حدثنا من رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، في قوله عز و جل: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ } ، قال: " الذين يغشون الإمام ". إلى قوله عز و جل: { لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ } ، قال: " لا ينفعهم الدخول و لا يغنيهم القعود -." و عنه: عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن فضال، عن حنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) [أنه]، قال: " لا يبالي الناصب صلى أم زنى، و هذه الآية نزلت فيهم: { عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً -." } علي بن إبراهيم، قال: حدثنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد الكريم بن عبد الرحيم، قال:حدثنا محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: " من خالفكم- و إن تعبد و اجتهد- منسوب إلى هذه الآية: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً }

- ابن بابويه في (بشارات الشيعة)، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، قال: حدثنا محمد بن عمران، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، قال: " خرجت أنا و أبي ذات يوم إلى المسجد، فإذا هو بأصحابه بين القبر و المنبر- قال- فدنا منهم و سلم عليهم، و قال: و الله إني لأحب ريحكم و أرواحكم، فأعينونا على ذلك بورع و اجتهاد، و اعلموا أن ولايتنا لا تدرك إلا بالورع و الاجتهاد، من ائتم منكم بقوم فيعمل بعملهم، أنتم شيعة الله، و أنتم أنصار الله، و أنتم السابقون الأولون و

السابقون الآخرون، السابقون في الدنيا إلى محبتنا، و السابقون في الآخرة إلى الجنة، ضمنت لكم الجنة بضمان الله عز و جل و ضمان النبي (صلى الله عليه و آله)، و أنتم الطيبون و نساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء، كل مؤمن صديق قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لقنبر: أبشروا و بشروا، فو الله لقد مات رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو ساخط على أمته إلا الشيعة، ألا و إن لكل شيء عروة و عروة الدين الشيعة، ألا و إن لكل شيء شرفا و شرف الدين الشيعة، ألا و إن لكل شيء سيدا، و سيد المجالس مجالس الشيعة، ألا و إن لكل شيء إماما، و إمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، ألا و إن لكل شيء شهوة، و شهوة الدنيا سكنى شيعتنا فيها، و الله لو لا ما في الأرض منكم ما استكمل أهل خلافكم الطيبات، و ما لهم في الآخرة من نصيب، [كل ناصب] و ان تعبد و اجتهد منسوب إلى هذه الآية: { عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً }."

و عنه، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الوليد (رحمه الله)، بهذا الحديث، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إلا أن حديثه لم يكن بهذا الطول، و في هذا زيادة ليس في ذلك، و المعاني متقاربة -.شرف الدين النجفي، قال: روي عن أهل البيت (عليهم السلام) حديث مسند في قوله عز و جل }:وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ {: " أنها التي نصبت العداوة لآل محمد (عليهم السلام)، و أما { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ } فهم شيعة آل محمد (صلوات الله عليهم -.") الكشي: عن محمد بن الحسن البراثي، قال: حدثني الفارسي- يعني أبا علي- عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عمن حدثه، قال: سألت محمد بن علي الرضا (عليه السلام) عن هذه الآية { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ } ، قال: " نزلت في النصاب، و الزيدية، و الواقفة من النصاب ".

-علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ } يعني قد أتاك- يا محمد- حديث القيامة، و معنى الغاشية أي تغشى الناس، { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ } ، قال: نزلت في النصاب، و هم الذين خالفوا دين الله و صلوا و صاموا، و نصبوا لأمير المؤمنين (عليه السلام)، و هو قوله تعالى: { عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ } عملوا و نصبوا فلا يقبل منهم شيء من أفعالهم { تَصْلَىٰ } وجوههم { نَاراً حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ } ، قال: لها أنين من شدة حرها { لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ } ، قال: عرق أهل النار، و ما يخرج من فروج الزواني { لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ ثم ذكر أتباع أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ } يرضى الله بما سعوا فيه { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لاَّ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً } ، قال: الهزل و الكذب. } – تفسير البرهان] .

- وفي تفسير تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة/ الجنابذي (ت القرن 14 هـ) :

[{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ } الاستفهام للتّقرير والخطاب له (ص) والمقصود تذكير غيره والغاشية الدّاهيّة الّتى تعمّ افراد النّاس، او تعمّ جميع اعضاء الانسان واجزائه، والمراد بها شدائد القيامة او نفس يوم القيامة او شدائد جهنّم] .

- وقال الطبطبائي في تفسيره الميزان :

[بيان سورة انذار وتبشير تصف الغاشية وهي يوم القيامة الذي يحيط بالناس تصفه بحال الناس فيه من حيث انقسامهم فريقين السعداء والأشقياء واستقرارهم فيما أعد لهم من الجنة والنار وتنتهي إلى أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكر الناس بفنون من التدبير الربوبي في العالم الدالة على ربوبيته تعالى لهم ورجوعهم إليه لحساب أعمالهم. والسورة مكية بشهادة سياق آياتها. قوله تعالى { هل أتاك حديث الغاشية } استفهام بداعي التفخيم والإعظام، والمراد بالغاشية يوم القيامة سميت بذلك لأنها تغشى الناس وتحيط بهم كما قال { وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً - الكهف 47} ، أو لأنها تغشى الناس بأهوالها بغتة كما قيل، أو لأنها تغشى وجوه الكفار بالعذاب. قوله تعالى { وجوه يومئذ خاشعة } أي مذللة بالغم والعذاب يغشاها، والخشوع إنما هو لأرباب الوجوه وإنما نسب إلى الوجوه لأن الخشوع والمذلة يظهر فيها. قوله تعالى { عاملة ناصبة } النصب التعب و { عاملة } خبر بعد خبر لوجوه، وكذا قوله { ناصبةٌ } و { تصلى } و { تسقى } و { ليس لهم } ، والمراد من عملها ونصبها بقرينة مقابلتهما في صفة أهل الجنة الآتية بقوله { لسعيها راضية } عملها في الدنيا ونصبها في الآخرة فإن الإنسان إنما يعمل ما يعمل في الدنيا ليسعد به ويظفر بالمطلوب لكن عملهم حبط باطل لا ينفعهم شيئاً كما قال تعالى { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً - الفرقان 23 } فلا يعود إليهم من عملهم إلا النصب والتعب بخلاف أهل الجنة فإنهم لسعيهم الذي سعوه في الدنيا راضون لما ساقهم إلى الجنة والراحة. وقيل المراد أنها عاملة في النار ناصبة فيها فهي تعالج أنواع العذاب الذي تعذب به وتتعب لذلك. وقيل المراد أنها عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة. قوله تعالى { تصلى ناراً حامية } أي تلزم ناراً في نهاية الحرارة. قوله تعالى { تسقى من عين آنية } أي حارة بالغة في حرارتها. قوله تعالى { ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع } قيل الضريع نوع من الشوك يقال له الشبرق وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس وهو أخبث طعام وأبشعه لا ترعاه دابة، ولعل تسمية ما في النار به لمجرد المشابهة شكلاً وخاصة. قوله تعالى { وجوه يومئذ ناعمة } من النعومة فيكون كناية عن البهجة والسرور الظاهر على البشرة كما قال { تعرف في وجوههم نضرة النعيم المطففين 24 } ، أو من النعمة أي متنعمة. قيل ولم يعطف على قوله { وجوه يومئذ خاشعة } إشارة إلى كمال البينونة بين حالي الفريقين. قوله تعالى { لسعيها راضية } اللام للتقوية، والمراد بالسعي سعيها في الدنيا بالعمل الصالح، والمعنى رضيت سعيها وهو عملها الصالح حيث جوزيت به جزاء حسناً. – تفسير الميزان] .

- وورد في تفسير الطبري مايلي في بيان الآيات الأولى من السورة الكريمة :

[يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: { هَلْ أتـاكَ } يـا محمـد { حَـدِيثُ الْغاشِـيَةُ } يعنـي: قصـتها وخبرهـا. واختلـف أهـل التأويـل فـي معنـى الغاشية، فقال بعضهم: هي القيامة تغشى الناس بالأهوال. ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس { الْغاشِيَةُ } من أسماء يوم القيامة، عظَّمه الله، وحذّره عباده. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قولـه: { هَلْ أتـاكَ حَـدِيثُ الْغاشِـيَةِ } قـال: الغاشية: الساعة. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثنـي عمـي، قـال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: { هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ } قال: الساعة. وقال آخرون: بل الغاشية: النار تغشَى وجوه الكَفَرة. ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن سعيد، في قولـه: { هَلْ أتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ } قال: غاشية النار.... والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: { هَـلْ أتـاكَ حَـدِيثُ الْغاشِـيَةِ } ولم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولاأنه عنى غاشية النار، وكلتاهما غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشى الكفار باللفْح في الوجوه، والشُّواظ والنُّحاس، فلا قول في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه، ويعمّ الخبر بذلك كما عمه. وقوله: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ } يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذٍ، وهي وجوه أهل الكفر به. خاشعة: يقول: ذليلة. ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ }: أي ذليلة. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: { خاشِعَةٌ } قال: خاشعة في النار. وقولـه: { عامِلـةٌ } يعنـي: عاملة في النار. وقوله: { ناصِبَةٌ } يقول: ناصبة فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس { عامِلَـةٌ ناصِبَةٌ } فإنها تعمل وتَنصَب في النار. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، قرأ: { عامِلَةٌ ناصِبَةٌ } قال: لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار . – الطبري]

يقول تعالى :

(1) هل أتاك حديث الغاشية (1)

وهنا :

(هل أتاك حديث)

هو خبر عن حديث الغاشية كقوله تعالى { **وَهَلْ أَتَاكَ** نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ – ص21} أي هل أتاك نبأ الغاشية وأحداثها وهو حدث مستقبلي هنا ويأتي على أحداث سالفة فيها عبرة لما سيحدث للأمم آخر الزمان إن فعلوا نفس فعل الفراعنة والأمم الظالمة من قبل فيبعث الله تعالى فيهم إماماً فيه سمة من موسى عليه السلام لورود هذه الآيات في قوله تعالى : { **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ** مُوسَى - طه9} وتكون بعثته فيقوم آخر الزمان إذا فعلوا فعل فرعون وثمود فيكون الله تعالى منورائهم محيط بهم وبفعالهم حتى يهلكهم الله تعالى وذلك لورود هذه الآيات في قوله تعالى : {**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ** الجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ- البروج17-18} وذلك في زمان سيطرة تامة على العباد والبلاد حيث يقول تعالى { وظن أهلها أنهم قادرون عليها } فيعتقد فيه الناس نفس اعتقاد الفراعين من قبل حيث قال تعالى فيما كان يعتقده فرعون عن نفسه : (أنا ربكم الأعلى) وقال أيضاً مستكبرا { ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد } ومن فعل ذلك فقد وضع نفسه وحكومته في غرز نحس يبدأ بأزمات اقتصادية وينتهي إلى فتن وحروب إن عمل الناس بسنة الفراعين واقتدوا بمنهجهم في الإستكبار والعلو على الله تبارك وتعالى ورسله وأهل بيته عليهم السلام ولذلك جعل الله تعالى فرعون وملئه أئمة لكل حكام العالم الظلمة إلى يوم القيامة حتى ينتبهوا فلا يفعلوا نفس فعل هذا الظالم قال تعالى لذلك {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار} ولذلك كل من تقلد بهم فستأتيهم غاشية من عذاب الله تعالى كما سنبين فيما بعد إن شاء الله ,

.

كما أن ورود هذه الكلمة أيضاً في قصة داود عليه السلام فيها دلالة على أن هذه الأمم التي كفرت بالله تعالى آخر الزمان سيعمل الله تعالى فيها بشريعة داود عليه السلام وهى القتل والإستئصال الجماعي لكفرهم وعملهم بالكبائر التي أهلك الله تعالى بها الأمم من قبل , ويبدأ القتل في كبراء القوم كما قتل داود عليه السلام جالوت في قوله تعالى { وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة- البقرة} وفي آثار أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد ذلك حيث قالوا عليهم السلام :

{ " وقتل أهل مصر أمرائهم " } وتكون هذه غاشية من عذاب الله تأتيهم آخر الزمان إذا حادوا وشاقوا الله تعالى ورسوله وحاربوا أهل بيته عليهم السلام

وتولوا كل من غضب الله تعالى عليه ولعنه فيكون هلاكهم وضياع ملكهم في أفعالهم بعد أن يستبدل الله تعالى غيرهم ليرثوا حكمهم كما هى سنته تعالى لما أغرق الله تعالى فرعون وجنوده واستضعفوا أهل مصر فأهلكهم الله تعالى كما في قوله عز وجل { **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ** الْجُنُودِ فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط - البروج17} .

وهذا وعد وعده الله تعالى كما في قوله عز وجل { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ – القصص 4-6 } وهذا هو حديث القرآن الكريم عن فرعون وجنوده من تقلد بهم آخر الزمان في أي مكان بالعالم في قتل أهل بيت النبي عليهم السلام وشيعتهم وأنصارهم والمستضعفين من المسلمين كما فعلت ثمود وقتلت ناقة نبي الله صالح قال تعالى { **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ** الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ – البروج 17-20 } .

وكذلك تأتي غاشية من عذاب الله تعالى في الدنيا إن انتشر عمل قوم لوط وهو الشذوذ والمثلية فتحل بهم غاشية من عذاب الله تعالى لورود هذه الآيات على ملائكة الله تعالى التي نزلت للإنتقام من قوم لوط وورد ذكرهم في قوله تعالى { **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ** ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ – الذاريات 24-37}

وهنا يبين تعالى إن فعلت الأمم آخر الزمان هذه الكبائر والموبقات حل بهم في الدنيا غاشية من عذاب الله الأدنى دون العذاب الأكبر لعلم يرجعون ويتوبون إلى الله تعالى من قريب .

وأما قوله تعالى :

(حديث)

أي ماذكره الله تعالى في كتابه العزيز عن هذا الأمر لورود هذا اللفظ في قوله تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ **الْحَدِيثِ** كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ - الزمر23} وهذه الآيات إذا كذب بها الناس فبأي حديث بعده يؤمنون كما قال تعالى { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ **حَدِيثٍ** بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ - الجاثية6} وبالتالي تكذيب الناس بآيات الله وترك العمل بها آخر الزمان يستوجب نزول العذاب الجماعي والفردي عليهم حتى يرجعوا إلى الله تعالى ولذلك بعد بيان نزول المعارج آخر الزمان لهلاك الظالمين ويوم الفصل والإستئصال الذي أعده الله تعالى لهم يقول عزوجل آخر السورة {ويل يومئذٍ للمكذبين فَبِأَيِّ **حَدِيثٍ** بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ - المرسلات49 - 50} .

وأما :

(الغاشية)

[والغاشية هى الغشاوة لغطاء خاص وهى جلدة تُغشى القلب فإذا انخلع منها القلب مات صاحبه ولذلك تفسر الغاشيه بالعذاب والجائحة المهلكة في كتاب الله – معجم ألفاظ القرآن باب غشى] .

والغاشية عبارة عن إرادة إلاهية تعزل المرء عن عالم فتدخله في عالم آخرقال تعالى في عزل الإنسان بالموج عند الغرق والعزل عن الدنيا ثم دخوله في عالم الآخرة (وَإِذَا **غَشِيَهُم** مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ - لقمان32) وقال تعالى في النار التي تغشى أهل جهنم فتعزلهم عن نعيم الحياه (سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ **وَتَغْشَى** وَجُوهَهُمُ النَّارُ- إبراهيم50) وقال تعالى في قوم لوط عندما

أراد بهم العذاب عزلهم بغاشية من عذاب الله تعالى قال فيها (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى **فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى** – النجم 53-54) وقال تعالى في عزل حواس الكفار وأعينهم (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَداً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَداً **فَأَغْشَيْنَاهُمْ** فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ - يس9) ولذلك الغاشية عبارة عن تضليل للكفار فلا يرون ما يراد بهم ولا ما يحاك لهم ولا ما هو مقدر عليهم حتى ينزل بهم عذاب الله تعالى بغتة وتستخدم في تلك المهمة شياطين الجن والإنس لتضليل أوليائهم ولذلك يقول أمير المؤمنين مخاطباً قتلى النهر وان من الخوارج قائلاً لهم (لقد قتلكم من غركم) والذي غرهم هو الشيطان وحزبه الذي أخذ يعدهم ويمنيهم وعدوهم يعد لهم العدة من صواريخ نووية وحاملات طائرات ولن يهلكو إلا أولياء الشيطان الذين يعملون للدنيا ويتآلفون مع أعداء الله عليها وأعداؤهم يعدون العدة لهلاكهم وهذه غاشية من عذاب الله تعالى ومهما قلت لهم سيقولون لك هؤلاء أصدقاؤنا وصدق الله العظيم غذ يقول (هاأنتم هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم – البقرة)وهنا يكونون قد عملوا بالهوى فيضلهم الله تعالى ويكونون قد دخلوا في غاشية من عذاب الله تعالى بسبب العمل بالهوى وترك القرآن قال تعالى في الهوي ومخالفة النص (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ **غِشَاوَةً** فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ – الجاثيه23) ولذلك تجد الدجال أول شئ يشغله هو هدم العقائد الدينية لإدخال الأمة في غاشية من عذاب الله تعالى ومعلوم أن هذه الغاشية لا تزول إلا بالقرآن ويمكن للمسلم أن يري عدوه وما يحاك به ولكن من ضرب الله على قلبه غشاوة تجده يقول لا تميلوا للتشاؤم والبلدان تزول من أمامه بمن عليها ومنهم من يقول هؤلاء أصدقاؤنا ..... الخ الأعذار من قوم مطموس على قلوبهم. والغاشية حتما ستقع بهؤلاء ليزيل الله تعالى ملكهم رحمة بالمؤمنين ولإفساح الطريق لمؤمنين ينزل الله تعالى بهم غاشية من عذاب الله تعالى على الدجال وكل مستكبر مع قرب القيامة في أيامنا هذه قال تعالى(أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ - يوسف107) ومن هذه الغواش غاشية تغشى الناس آخر الزمان عبارة عن دخان يغشى الناس من أسلحة ذرية أو نووية يخرج منها إشعاع وغبار ذري أو شيء إلاهي الله أعلم به عبارة عن دخان فيه عذاب أليم قال تعالى فيه (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ **يَغْشَى** النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ – الدخان10-11) وعلى كل مسلم الدعاء بأن يكشف الله تعالى عنه هذا العذاب العام قال تعالى في دعاء كل

مسلم في هذه الأزمان (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ - الدخان12) وهذه كلها غواشي ما قبل القيامة وهى كالأتي:
غواش للقلوب التي تكفر بالله وتعمل بالهوى. 1)
2)غواشى بعذاب نازل من السماء بواسطة دجال آخر الزمان وهو عذاب قريب من الساعة أو معها.
3)غاشية دخان آخر الزمان .
4)وبعد الموت تأتيهم غاشية من عذاب الله تعالى قال فيها عز وجل (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ - الأعراف41).
ثم يقول تعالى :

(2) جوه يومئذٍ خاشعة (2)

وهنا :

(**وجوه** يومئذٍ خاشعة)

أي ذليلةً منكسرة ويبدأ الذل بهزيمتهم في الدنيا وخسرانهم وقتلهم شر قتلة فتسوء وجوههم كما في قوله تعالى (فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ **وَجُوهُ** الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ - الملك27) وتطمس وجوههم بالنيران الدنيوية فترد وجوههم جاعلةً إياها كأدبارهم كما في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ **وَجُوهاً** فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً - النساء47) وفي الآخرة تغشى وجوههم النار كما في قوله تعالى (سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى **وَجُوهَهُمُ** النَّارُ - إبراهيم50) وتضربهم الملائكة في وجوههم وأدبارهم عند الموت لقوله تعالى(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ **وَجُوهَهُمْ** وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ - الأنفال50) ويقولون في هذا اليوم تحسراً يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال تعالى (يَوْمَ تُقَلَّبُ **وَجُوهُهُمْ** فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ- الأحزاب66-67).
وأما قوله تعالى :

(وجوه **يومئذٍ** خاشعة) :

ويبين تعالى لفظ يومئذٍ أنهم عندما تنزل بهم غاشية العذاب وبدايتها غشاوة على القلب كمابينا وهنا تعمى عليهم الأنباء فلايستطيعون تمييز حق من باطل ولا الخطء من الصواب قال تعالى (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنْبَاءُ **يَوْمَئِذٍ** فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ - القصص66) وعندما يأتي نصر الله يفرح به المؤمنون آخر الزمان وهو نصر على الروم قال تعالى فيه (**وَيَوْمَئِذٍ** يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ – الروم4-5) وهذا النصر وبقية الأنتصارات تكون بملائكةً تأخذ أرواحهم من على كواهلهم ولا بشرى لهم بعد يومئذٍ لقوله تعالى (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى **يَوْمَئِذٍ** لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً - الفرقان22) وتكون هذه الحروب بداية لملاحم آخر الزمان وهى بدايةً ليوم الفصل في الدنيا ثم القيامة ويوم الفصل الأكبر قال تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ وَيْلٌ **يَوْمَئِذٍ** لِّلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ – المرسلات14-18) وفي هذا اليوم الويل لهم فيكونون خاشعين من الذل كما في قوله تعالى هنا :

(وجوه يومئذٍ **خاشعة**)

والخشوع خشوعين **الأول** : في الأخرة من الذل وبيانه كالآتي :

الخشوع بمعنى : السكون والإخبات وخشوع القلب : ضراعته وسكونه ويتبعه سكون الجوارح – معجم الفاظ القرآن باب الخاء فصل الشين والعين] .
قال تعالى فيه (يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ **وَخَشَعَتِ** الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً - طه108) والخشوع يبدأ من القلب كالغاشية قال تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن **تَخْشَعَ** قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ - الحديد16) .

وهنا الخشوع عكس الغاشية وكأن الله تعالى يبين لنا أن الذين حق عليهم القول من المنافقين والكافرين لن تخشع قلوبهم إلا بخلعها بغاشية من عذاب الله تعالى تغشاها قال عز وجل : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ – التوبة14-15) وهنا كأن الله تعالى يبين لنا علاج هؤلاء المجرمون لن يذهب غيظ قلوبهم والختم من الله تعالى مضروب عليها بأعمالهم ولن يذهب غيظ قلوبهم إلا بضربهم ضرباً موجعاً مؤلماً يعيد لهم صوابهم ويذهب به الله تعالى غيظ قلوبهم فتجعلهم يفكرون ألف مرة قبل أي عمل أرعن ضد أمة المسلمين وبعد ضربهم تسكن نفوسهم وتهدأ جوارحهم ويرتد إليهم عقلهم بعد إخراج الشياطين الساكنة في أجسادهم والتي إتخذت من قلوبهم مأوى ومسكن جعلتهم يكفرون بالله وينافقون ويرتكبون الكبائر وهنا الحدود التي شرعها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هنا كافية لردع هؤلاء بخلاف المحاربين فهؤلاء لهم أحكاماً أخرى مع الإلتزام بالنصوص دون زيادة في أعداد الجلد أو التعزير انتقاماً أو تراخياً في تنفيذ حدود الله تعالى .

ومن أراد الله تعالى له التوبة فسيتوب بعد ذلك عليه ومن لم يتب فالسيف أمامه والنار والآخرة في ظهره وفيها يكون الذل أكثر من الحياة الدنيا وهو ذُل قال تعالى فيه (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ **خَاشِعَةً** أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ – القلم-43-42) .

وهنا يقول هل إلى مرد من سبيل كما في قوله تعالى (وَمَن يُضْلِلِ ?للَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا **خَاشِعِينَ** مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيم - ِالشورى44-45) ثم يقول تعالى في هذه الوجوه الخاشعة المضروب عليها الذل.

الثاني: خشوع في الدنياوهو نوعين

(?) خشوع حقيقي لله تعالى وقال تعالى فيه (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ **خَاشِعِينَ** لِلَّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ – آل عمران199) وهؤلاء هم العاملين بالقرآن والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(?) وجوه خاشعة عاملة بمكذوبات على رسول الله صلى الله عليه وآله وتظن أنها على صواب وما هم كذلك وقالتعالى فيهم هنا(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ **خَاشِعَةٌ** عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً – الغاشية1-4)وهنا هذه الوجوه جاشعة في الدنيا وعاملة ناصبه ومع هذا ستصلى ناراً حامية وهؤلاء هم الذين قال تعالى فيهم بموضع آخر من كتاب الله تعالى(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً – الكهف103- 104) وهؤلاء هم الذين عبدوا الله ?ولاية غير آل بيت محمد عليهم السلام التي أمر الله تعالى بها فضلو قال تعالى فيهم أيضاً(فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ - الأعراف30) وهؤلاء يبين تعالى أن هؤلاء تليت عليهم آيات الله تعالى فخروا عليها صماً وعميانا وقالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا كما في قوله تعالى(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُماً وَعُمْيَاناً - الفرقان73) وهؤلاء ظاهرهم الخشوع وباطنهم الضلال ولذلك قال تعالى فيهم هنا (وجوه يومئذٍ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية). ثم يقول تعالى :

(3) عاملة ناصبة (3)

وهنا :

(عاملة)

العمل لايكون إلا في الدنيا لأن الدنيا دار عمل والآخرة دار للجزاء. والعمل في الحياة الدنيا إما صالح أو طالح قال تعالى (من **عمل** صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها-) ويوجد الذين عملوا أعمالاً ظنوا أنها صالحة وماهى كذالك لوقوعهم في ولاية غير آل بيت محمد وهؤلاء سيحبط اله أعمالهم وستصبح هباءاً منثورا كما في قوله تعالى(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا **عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ** فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً - الفرقان23) .

وهنا يتبين لنا أن هؤلاء لهم أعمال ولكن أحبطها الله تعالى كما في قوله عز وجل عن المنافقين(ًا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ **أَعْمَالُهُمْ** فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ – المائدة51-53) كما أن مخالفة الله ورسوله وتقليد الآباء ةالأجداد وتقديم آرئهم على النص موجب لإحباط الأعمال قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ?طِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ - محمد33) وهنا يتبين لنا أن هذه الوجوه يمكن أنتكون في ظاهر الأمر عاملة لله تعالى وهى من أهل النار كما قال سيد الخلق صلى الله عليه وآله [رُب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه] .

وأما قوله تعالى :

(عاملة **ناصبة**)

النصب هو الداء والبلاء وما يوجب التعب قال تعالى(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ **بِنُصْبٍ** وَعَذَابٍ - ?41) وهذا النصب والعذاب ليس للمؤمن في الآخرة ولذلك يقول تعالى (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا **نَصَبٌ** وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ – الحجر47-48) أي أن النصب واللغوب في الدنيا لقوله تعالى(وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا **نَصَبٌ** وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ –فاطر34-35) أي أن هذا الحَزنْ والنصب لايكون إلا في الحياة الدنيا مما يبين أن قوله تعالى (وجوه يومئذٍ خاشعة عاملة **ناصبه**) أي في الحياة الدنيا ولاأجر لهم في الآخرة لأنهم عاملون مجدين في الطاعة ظاهر الأمر وهم ليسوا إلا مقلدة آبائهم ولدلك قال تعالى فيهم مع كل جهدهم ونصبهم أن وجوههم ستصلى ناراً حامية (تصلى ناراً حامية).

ثم يقول تعالى :

((4) تصلى ناراً حامية (4)

(تصلى ناراً)

وهنا تصلى من صلى والصلاء النار وما تزكى به وتوقد قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بَأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ **تَصْطَلُونَ** - القصص29) وهذه النار يصلونها يوم القيامة لقوله تعالى (جَهَنَّمَ **يَصْلَوْنَهَا** فَبِئْسَ المِهَادُ - ص56) ولا يصلى هذه النار إلا الأشقى المكذب بآيات الله تعالى هو الذي تركها ولم يعمل بها كما في قوله تعالى (فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لاَ **يَصْلاهَا** إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى-الليل 14-16) وهنا كذب بها أي تركها لدنيا أو لآراء رجال قال تعالى(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ – الجمعة5) وهنا التكذيب ترك النص القرآني وهذا هو الكفر كما في قوله تعالى(**اصْلَوْهَا** اليَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ – يس 64-65) ومن الكفر أيضا تقليد الآباء لقوله تعالى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير – غافر12) وهذا هو ترك النص لآراء الرجال لقوله تعالى(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ - الزمر45) .

وهنا نفهم أن هؤلاء المتظاهرون بالتقوى والورع والخشوع ماهم إلا مقلدون لرجال بوالون على أعقابهم إذا ذكرتهم بالله وآياته أعرضوا و ضربوا عرض الحائط بالنصوص القرآنية ويقولون لك بكل وقاحة " ما أدراك أن الآية معناها هكذا" ألم تعلم أن هناك عام وخاص ومحكم ومتشابة وناسخ ومنسوخ ومطلق ومقيد ...إلخ إلخ ليصرف الناس عن فهم كتاب الله إلا بتوقيع أحد رجالهم فإن أتيت برأي عالم مخالف لمذهبهم رفضوه وإن قلت لهم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا لك ماصحة الحديث .

فإذا قلت لهم قال زيد أو عمر من الناس استبشروا بهذه المقولة وطاروا بها كل مطار كما أخبرنا الله عز وجل في قوله تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون – الزمر) وعن نفورهم من آيات الله يقول تعالى عنهم في سور ة

الإسراء واصفاً حالهم : (وإذا ذكرت ربك وحد في القرآن ولو على أدبارهم نفورا– الإسراء) وهؤلاء توعدهم الله تعالى بالنار يوم القيامة قائلاً : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ **نُصْلِيهِمْ** نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً - النساء56).

وأما قوله تعالى.

(ناراً حامية)

وهنا ناراً حامية أي أشدها حرا فهى نار حامية وهذه النار تبدأ بقارهة في الدنيا ثم قارعة الآخرة وفى هؤلاء ومن تقلد بغيرهم يقول تعالىً (الْقَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ المَبْثُوثِ وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ المَنفُوشِ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ **نَارٌ حَامِيَةٌ** – القارعة) ثم يقول تعالى في هؤلاء الكفار والمنافقين .

ثم يقول تعالى :

(5) تسقى من عين آنيه (5)

وهنا :

(تسقى من عين آنية)

وهذه العين الآنية هى الماء الحميم الوارد ذكره في قوله تعالى(مَثَلُ الجَنَّةِ الَتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ **وَسُقُوا** مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ - محمد15) ومن الأشياء التي يعذبون بها ماء من صديد قال تعالى فيه (مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ **وَيُسْقَى** مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ - إبراهيم16) وهذا الماء الحميم الشديد الحرارة يخرج كما في قوله تعالى من عين آنية كما في قوله تعالى.

(**تسقى** من عين آنية)

وأما :

(**عين** آنية)

هى عين الماء لصفائها قال تعالى (فيها **عين** جارية - الغاشية12) وهذه عين ماء طيبة طاهرة لأهل الجنة والعكس لأهل النار يكون لهم عين آنية شديدة الحرارة قال تعالى فيها هنا (تسقى من عين **آنية**)

وأما (آنية) :

الآنية شديدة الحرارة كما في قوله تعالى : (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا المُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ **آنٍ** فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ – الرحمن 43-45) وهنا الحميم الآن هو الماء الشديد الحرارة كالمهل الذي يشوي الوجوه الوارد ذكره في قوله تعالى (وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً - الكهف29) وها بئس الشراب أي أنهم يسقون ماء كالمهل يشوي الوجوه من عيون آنية شديدة الحرارة. ثم يقول تعالى عن طعامهم.

ثم يقول تعالى :

(6) ليس لهم طعام إلا من ضريع(6)

وهنا **(ليس) :**

أي أن هؤلاء ليس لهم في الآخرة إلا النار لتمتعهم بالحياة الدنيا وتركهم شريعة ربهم المنظمة لهذه الحياة الدنيا لورود هذا اللفظ في قوله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ **لَيْسَ** لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّـارُ وَحَـبِطَ مَـا صَـنَعُوا فِيهَـا وَبَاطِـلٌ مَّـا كَانُوا يَعْمَلُونَ – هود15-16) .

وبداية هذا العذاب تكون في الدنيا فإذلا نزل بهم فليس مصروفاً عنهم لقوله تعالى (أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ **لَيْسَ** مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِـهِ يَسْتَهْزِءُونَ - هود8) وبعدما ينزل بهم يدخلون النارولا طعام لهم كماأخبرنا الله عزوجل إلا من ضريع كمافي قوله تعالى هنا.
(**ليس** لهم طعام إلا من ضريع) .

وأما :

(طعام)

هذا الطعام نوع من الأطعمة التي يطعمها أهل النار و منها شجرة الزقوم التي أخبرنا الله عز وجل عنها في قوله تعالى (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ **طَعَامُ** الأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ كَغَلْيِ الحَمِيمِ –الدخان43-46) وهذا الشجر من أخبث الأشجار المرة التي تخرج في أصل الجحيم ومن أطعمتهم الغسلين وهو صديد أهل النار الذي قال تعالى فيه أنهم عُذبوا به لكفرهم وعدم إيمانهم بالله تعالى ورسوله وتولوا أهل بيته عليهم السلام وعلمهم بالمعاصي والكبائر في حياتهم الدنيا واستمتعوا بها تاركين كتاب الله تعالى وأحكامه وسنة رسوله (صلى الله عليه) وولاية أهل بيته (عليهم السلام) والمؤمنون إلى اللهو واللعب والتمتع بالدنيا دون أداء حق الله فيها ومنهم الذين يعملون بالرأي في مقابل النص القرآني وهؤلاء نفى الله تعالى عنهم الآيمان كما في قوله تعالى : (إِنـه كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ العَظِيمِ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى **طَعَامِ** المِسْكِينِ فَلَيْسَ لَـهُ اليَـوْمَ هَاهُنَـا حَمِيمٌ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ - عبس33-37).

وأما **(طعام من ضريع)**

لفظ الضريع هنا ليس له مرادف يبينه في القرآن الكريم وهو لا ينطبق وصفه إلا على شجر الزقوم لأن الضريع نوع من الشوك لا ترعاه دابةً لخبثه لذلك فهو ذا غصة يغص أي يعترض في الحلق شوكه فيقف فيه لا يخرج ولا ينزل

فهو ذا غصة كما في قوله تعالى (إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً – المزمل12-13) والضريع نوع من أنواع طعام أهل النار كما بينا .

ثم يقول تعالى هنا في وصف هذا الضريع أنه :

(7) لايسمن ولا يغني من جوع (7)

وهنا :

((لا يسمن)

أي لا يفيد الجسد بحيث يزيد في وزنه ويعطيه كفايته من الغذاء ولا يشبع جائعاً ولذلك يقول تعالى في إبراهيم عليه السلام وما فعله مع رسل الله من إكرام لبيان معنى اللفظ ومدلوله (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ - الذاريات26) أي أنه عجل تم إطعامه فهو سمين يفيد من يطعمه ويغنيه من الجوع وهو عكس طعام أهل النار وهو الضريع الذي قال تعالى فيه هنا : (ليس لهم طعام إلا من ضريع **لايسمن** ولايغني من جوع) .

وأما :

(**لايغني** من جوع)

أي لا يسد رمق ويعطى شعور بالشبع فلا فائدة فيه عند الإحتياج إليه كقوله تعالى مثلاً عن الأموال والأولاد (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن **تُغْنِيَ** عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ – آل عمران10) وهنا كما أن المعنى أولادهم لم تنفعهم هكذا يبين تعالى لنا المعنى أن هذا لضريع لايفيد بل يزيد لهيب جهنم فيهم كلما أرادوا منه مأكل .
وأما :

(من جوع)

وهنا الجوع قال تعالىفيه عن أهل الجنة (إِنَّ لَكَ أَلاَّ **تَجُوعَ** فِيهَا وَلاَ تَعْرَى – طه 118) وهنا ما دامت لا تسمن ولاتغني من جوع إذاً فهى شجرة تعطي إحساس بالجوع لزيادة العذاب ولذلك سيقولون لأهل الجنة (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ - الأعراف50) ويبين تعالى لنا آية في الدنيا كدلالة على صدق القرآن هى أن كل نبات مُر يزيد شهية الطعام وشراهته خاصةً الشيح الُمروهكذا في الآخرة يكون هذا الضريهع هو الذي يزيد شهيتهم لنيران جهنم وأي طعام لهم في نار جهنم .ثم يقول تعالى عن أهل الجنة.

ثم يقول تعالى :

(8) وجوه يومئذٍ ناعمة(8)

وهنا (**وجوه يومئذٍ** ناعمة)
هى الوجوه الضاحكة المستبشرة التي قال تعالى فيها (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ** مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ - عبس38-39) وهذه هى الوجوه التي إبيضت بأعمالها الصالحة وولايتها لله الحق فأدخلها الله تعالى في رحمته تعالى كما في قوله تعالى (يَوْمَ تَبْيَضُّ **وَجُوهٌ** وَتَسْوَدُّ **وَجُوهٌ** فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ **وَجُوهُهُمْ** أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوالعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ **وَجُوهُهُمْ** فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ – آل عمران106-107) وهذه الوجوه تكون ناضرةً يوم القيامة حسنةً مضيئة قال تعالى (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ** نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ – القيامة23-22).

وأما قوله تعالى :

(وجوه يومئذٍ **ناعمة**)

[وناعمة من نعم ينعم نعومةً فهو ناعم وهى ناعمة ويقال لمن كان لين العيش ناضراً ذو بهجة وناعم وناعمة يقال لمن ظهرت عليه آثار نعمة الله تعالى كما

في قوله تعالى (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ **وَنَعْمَةٍ** كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ – الدخان26-27)] .

وهذه النعمة في الدنيا تظهر على أهل اليمين في الآخرة كما في قوله تعالى (يَسْتَبْشِرُونَ **بِنِعْمَةٍ** مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ – آل عمران171) وهؤلاء المؤمنين هم الذين أطاعوا الله تعالى ورسوله فأنعم الله تعالى عليهم بأن جعلهم مع الذين أنعم الله تعالى عليهم قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ **أَنْعَمَ** اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً - النساء69) .

وهؤلاء تظهر عليهم آثار نعم الله تعالى وملكه الذي أورثهم إياه في الآخرة وقال تعالى فيه (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ **نَعِيماً** وَمُلْكاً كَبِيراً -الإنسان20) وهنا تظهر عليهم آثار نعمة الله تعالى فتصبح وجوههم ناضرة من أثر نعمة الله تعالى عليهم قال تعالى (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ **نَّاعِمَةٌ** - الغاشية8) ثم يقول تعالى عن أصحاب هذه الوجوه أنهم راضون عن الله تعالى والله تعالى راضٍ عنهم كما في قوله تعالى هنا.

ثم يقول تعالى :

(9) لسعيها راضية(9)

والسعى هنا قال تعالى فيه (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى-النجم40) وعندما يجزون الجزاء الأوفى سيكونوا راضين عما فعلوه في الدنيا من جهاد في سبيل الله وطاعته ولن يكونوا نادمين عما بذلوه من مهج وأرواح وأموال في سبيل الله ولذلك يقول تعالى(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً -الإسراء 19) فيكونوا راضين كما في قوله تعالى (لسعيها **راضية**) أى كما قال تعالى في حزبه الغالبون (**رَضِيَ** اللَّهُ عَنْهُمْ **وَرَضُوا** عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - المجادلة22) وهؤلاء سيكونون في عيشة راضية قال تعالى عنها 0فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه إنى ظننت إني ملاق حسابيه فهو في عيشة **راضية** في جنة عالية –

الحاقة19-23) وأما عن رضى الله تعالى عنهم فهو تنعمهم بالجنة التي قال تعالى فيها (خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ **وَرِضْوَانٌ** مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ - آل عمران15)وهذا الرضوان سببه إتباع رضوان الله تعالى والعمل بالقرآن كما في قوله تعالى(أَفَمَنِ اتَّبَعَ **رِضْوَانَ** اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِير- آل عمران162) ثم يقول تعالى عن هذه العيشة الراضية.

ثم يقول تعالى :

(10) في جنة عالية(10)

وهنا :

(في جنة)

أى أن الجنة سيرثها المتقون الذين قال تعالى فيهم (تِلْكَ **الجَنَّةُ** الَتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيا- مريمً 63) وهذا جزاء الصابرين الذين قال تعالى فيهم (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ **الجَنَّةَ** هِيَ المَأْوَى –النازعات40 -41) ويبين تعالى أن هذه الجنة في درجة عالية قال تعالى فيها (**في جنة** عالية)

وأما :

(عالية)

وعالية أى أنها درجة عالية في الآخرة قال تعالى فيها (وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ **العُلَى** جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى- طه 75- 76) .

ثم يقول تعالى عن هذه الجنة العالية

(11) لاتسمع فيها لاغية(11)

وهنا :

(لا تسمع فيها لاغية)

[ولغا يلغوا لغوا : أتى بما يقبح أو لا ينبغي من قول أو فعل كالحديث الساقط والكلام الهزل ومالا جدوى فيه من أعمال ويقال لغا أخطأ وقال باطلاً – معجم ألفاظ القرآن باب اللام فصل الغين والواو] واللغو هذيان الكلام بمخالفة شرع الله كما في قوله تعالى عن أعمالهم في الدنيا (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ -القصص 55) أي أن هؤلاء كانت أعمالهم في الدنيا وفقاً لأحكام القرآن الكريم وسنة سوله صلى الله عليه وولاية أهل بيته عليهم السلام وفي ذلك المعتقد إعراضاً عن اللغوا والتأثيم لذلك أورثهم الله تعالى جنة عاليه لا يسمعون فيها لاغية كما في قوله (**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً** وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً – الواقعة25-26) . أى لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً وليس لهم فيها إلا النعمة والرزق وسلاماً سلاما من اله تعالى وملائكته عز وجل كما في قوله تعالى (**لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً** إِلاَّ سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِياً –مريم 62) في قوله تعالى .

ثم يقول تعالى عن هذه الجنة .

ثم يقول تعالى :

(12) فيها عين جارية (12)

وهنا (**فيها عين**) جارية هذه العين تسمى سلسبيلا في قوله تعالى (**عَيْنا** فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً -الإنسان 18) وهذه العين الجارية يشرب بها عباد الله كما في قوله تعالى(**عَيْنا** يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً- الإنسان6) .

وأما قوله تعالى :

(**فيها عين جارية**)

هذه العين هي إحدى عينان تجريان قال تعالى فيهما(**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ** - الرحمن50) وهاتان العينان يتشكل منهما أنهاراً قال تعالى فيها (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ **تَجْرِي** مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ-البينة7-8) ثم يقول تعالى عن الجنة وما فيها

(13) فيها سرر مرفوعة (13)

وهنا **:**

(فيها سرر)

يقول تعالى في هذه السرر أنها متقابلة ومتكئين عليها هم وأزواجهم في قوله تعالى (مُتَّكِئِينَ عَلَى **سُرُرٍ** مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ -الطور20) وهذه السرر يبين تعالى أنها :

(مرفوعة)

وهنا فرش مرفوعة أى كما قال تعالى (وَفُرُشٍ **مَّرْفُوعَةٍ** إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لأَصْحَابِ اليَمِينِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ-الواقعة34- 40) وهذه الفرش على سرر مرفوعة كما في قوله تعالى هنا (**فيها سرر** مرفوعة) .

ثم يقول تعالى :

(14) وأكواب موضوعة (14)

وهنا **(أكواب)**

[والكوب : القدح لا عروة له ويتخذ وعاء للشراب وجمعه أكواب والأكواب المذكورة في القرآن الكريم كلها الآنية التي تقدم فيها الأشربة لأهل الجنة وهذا من قبيل التمثيل إذ لا يعلم أحد غير الله تعالى حقيقة هذه الأكواب ولا حقيقة ما

يشرب فيها – معجم الفاظ القرآن باب الكاف فصل الواو والباء] قال تعالى (يطاف عليهم بصحاف من ذهب **وأكواب** – الزخرف 71) . وهذه الأكواب من القوارير في قوله تعالى (**وَأَكْوَابٍ** كَانَتْ قَوَارِير- الواقعة 17-18) وهذه الأكواب يطوف عليهم بها ولدان مخلدون قال تعالى فيهم (يطوف عليهم ولدان مخلدون **بأكواب** وأباريق وكأس من معين- الواقعة 17-18) وهؤلاء السقاه لأهل الجنة هم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وأهل بيته النبي عليهم السلام على الحوض حيث يذب رسول الله صلى الله عليه وآله فئام من صحابته ارتدوا بعد موته صلى الله عليه وآله كما في الحديث الذي رواه أصحاب السنن

[عن قتادة عن أنسٍ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم. وحدَّثنا هدبة بن خالد حدثنا همامُ حدثنا قتادة حدثنا أنسُ بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال)) بينما أنا أسيرُ في الجنَّةِ إذ أنا بنهر حافَّتاهُ قِبابُ الدرِّ المجوَّف، قلت ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّكَ، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر - البخاري .))

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بن عفير قال حدثني ابنُ وهب عن يونس قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال)) إنَّ قدر حوضي كما بين أَيْلَه وصنعاء من اليمن، وإنَّ فيه مِنَ الأباريقِ بعدد نجوم السماءِ ((ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ ، البخاري ومسلم))

وبلفظ : ((ما بين ناحيتي حوْضي كما بين صنعاءَ والمدينة ((وبلفظ)) ترى فيه أباريق الذَّهب والفضة كعدد نجوم السماء)) رواه مسلم .

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بنُ إبراهيم حدثنا وهيبٌ حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال)) لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقولُ أصحابي، فيقولُ لا تدري ما أحْدثوا بعدك))

ورواه مسلم بلفظ)) إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجالٌ ممن صاحَبني حتى إذا رأيتهم وُرفعوا إليَّ اختلجوا دوني، فلأقولن أي ربِّ أصيحابي أصيحابي، فليقالنَّ لي إنَّك لا تدري ما أَحْدَثوا بعدك))

وأما عن ابن عمر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدَّدُ حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافعُ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال)) :أمامكم حوضٌ كما بين جرباءَ وأذرُح ((ورواه مسلم بلفظ)) ما بين ناحيتيهِ كما بين جَرْباءَ وأذرُح ((وزاد في رواية)) فيه أباريق كنجوم السماءِ، مَنْ ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً ((زاد في أخرى: قال عبيد الله)) فسألته فقال: قريتين بالشَّامِ بينهما مسيرةُ ثلاث ليال))

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عليُّ بنُ عبدالله حدثنا حرمي بنُ عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أَنِّه سمع حرثة بن وهب رضي الله عنه

يقول)) :سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحوض فقال: كما بين المدينةِ وصنعاءَ . ((وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله)) :حَوْضه ما بين صنعاءَ والمدينة ((فقال له المستورد)) :ألم تسمعْهُ قال الأواني؟ قال لا. قال المستورد: تُرى فيه الآنيةُ مثل الكواكب . ورواه مسلم بهذا اللفظ.)) - الموسوعة العقدية - الكتاب السادس: الإيمان باليوم الآخر - الباب الثالث القيامة الكبرى الفصل السابع عشر: الحوض المورودالمبحث الأول: تعريف الحوض في اللغة و الاصطلاح] .
ومن الأحاديث هنا نفهم أن الساقي على الحوض هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآهل بيته عليهم السلام سيدنا جعفر وحمزة وأصحاب الكساء والأئمة عليهم السلام .

وأما :

(موضوعة)

من وضع أى خفض وهو ضد الرفع قال تعالى (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً **وَوَضَعَتْهُ** كُرْهاً – الأحقاف 15) وهنا وضعته أى حطته في مكان آمن وهكذا أكواب موضوعة أى في أماكن آمنه0

ثم يقول تعالى عن الجنة وما أعده الله فيها لعباده الصالحين :

(15) ونمارق مصفوفة (15)

وهنا **(نمارق)** :

[جمع نمرقة بضم النون والراء وهى الوسادة الصغيرة التى يستند إليها ويتكئ عليها] والنمارق لا يوجد مرادف له يبينه وهو كما قال تعالى في لاتكائهم على هذه النمارق (مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ - الرحمن 54) والإستبرق هو ماغلظ من الديباج ويقول تعالى عن هذه النمارق هنا أنها :

(مصفوفة)

مصفوفة أي على السرر وهى من الأستبرق وهو حرير غليظ وهو الديباج قال تعالى (مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ **مَّصْفُوفَةٍ** وزوجناهم بحور عين-الطور20) وهذه السرر عليها نمارق كما في الآية هنا (ونمارق **مصفوفة**)

ثم يقول تعالى عن الجنة وما أعده الله تعالى فيها ٍ :

(16) وزرابى مبثوثة (16)

وهنا **(زرابى)**

وهذا اللفظ أيضاً لي س له مرادف و هى [البسط المبسوطة أى المبثوثة وهى الرفارف و البسط الخضر التي قال تعالى فيها بموضع آخر من كتاب الله (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعبقري حسان-76) .

والزرابى قال تعالى فيها هنا أنها :

(مبثوثة)

ومبثوثة [من بث الشيء نشره وفرقه] قال تعالى (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ **الْمَبْثُوثِ** - القارعة4)أي كالجراد المنتشر هكذا زرابى مبثوثة منتشرة ويكون على ذلك اللون الأخضر هو سمة بسط أهل الجنة وثيابهم كما في قوله تعالى (وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً -الكهف 31) وهنا ثياب خضر ورفرف خضر يتضح منهما أن هذا اللون سمة أهل الجنة 0

ثم يقول تعالى داعياً أهل الكفر والنفاق إلى التدبر في خلقه تعالى :

(17) أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)

وهنا **(أفلا ينظرون)**

أى كما قال تعالى في ملكوت السموات والأرض وما بينهما (**أَوَلَمْ يَنظُرُوا** فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَات وَالأَرْض –الأعراف185)ِ

وأما قوله تعالى :

(أَفَلاَ يَنظُرُونَ **إِلَى الإِبِلِ** كَيْفَ خُلِقَتْ) ورد لفظ **الإبل** في قوله تعالى (وَمِنَ **الإِبِلِ** اثْنَيْنِ وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ-الأنعام144) أى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ-الزمر42) أى أفلا يتفكرون في خلق الإبل العجيب وسنامها وقامتها المرفوعة بإذن الله تعالى وقال تعالى فيها وفى الأنعام (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ-النحل7)

وأما قوله تعالى :

(كيف خلقت)

أى أن هذا خلق الله تعالى فماذا خلق الذين من دونه كما في قوله تعالى (هَذَا **خَلْقُ اللَّهِ** فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ –لقمان11) وكيفية الخلق هنا قال تعالى فيها (وَاللَّهُ **خَلَقَ** كُلَّ دَابَّةٍ من ماء –النور45) فماذا حلق الذين من دونه؟ .

ثم يقول تعالى :

(18) وإلى السماء كيف رفعت (18)

وهنا كيف رفعت أي بقدرته تعالى وبغير عمد ترونها كما في قوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي **رَفَعَ السماوات** بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ -الرعد2)أي كأن الله تعالى يقول لنا وللخلق(أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ **السماوات** وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ - الأعراف185)أي ألم ينظروا إلى السماء كيف رفعت بغير عمد ترونها كما في قوله تعالى هنا (وإلى **السماء** كيف **رفعت**- الغاشية18) أي كيف خلقها الله تعالى على هذا الشكل وهذا البناء المعجز لورود لفظ كيف هنا

وأما**(كيف** رفعت **)**

ورد لفظ كيف في قوله تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ **كَيْفَ** بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الخُرُوجُ – ق5-11)

وهنا يبين تعالى أن الخلق عليهم أن يتفكروا ويتدبروا في خلق الله ليؤمنوا به ألم يتفكروا كما في قوله تعالى أيضاً (أَلَمْ تَرَوْا **كَيْفَ** خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً –نوح 15-18)

وأما :

(رفعت)

ورد لفظ رفع في قوله عز وجل لبيان قدرته تعالى {اللهُ الَّذِي **رَفَعَ** السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ - الرعد2} اي أنه تعالى رفع سمكها فسواها وأخسن خلقها وزينها بمصابيح وحفظل لقوله تعالى : {**رَفَعَ** سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وأغطش ليلها وأخرج ضحاها - النازعات- 28 - 29} وهذا الخلق هنا يدعونا الله عزو جل للتفكر فيه قائلاً سبحانه { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف **رفعت** – الغاشية } ثم يقول تعالى :

(19) وإلى الجبال كيف نصبت(19)

وهنا :

(وإلى الجبال كيف نصبت**)**

وكيفية نصبها بأن أرساها سبحانه وتعالى كما في قوله عز وجل(**وَالْجِبَالَ** أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُم وَلأَنْعَامِكُمْ- النازعات 32-33)

وهنا أرساها أي ثبتها في الأرض وجعل منها ألواناً سود وبيض وحمر مختلف ألوانها كما في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ **الْجِبَالِ** جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ- فاطر27) وبعد ذلك ماذا خلق الذين من دونه كما في قوله تعالى(هذا خلق الله فماذا خلق الذين من دونه -)؟.

ثم يقول تعالى

(**كيف** نصبت)

أي(انظُرْ **كَيْفَ** نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ -الأنعام65) ولكنهم كما يبين تعالى لم يفقهوا بل كذبوا على أنفسهم وأفكوا كما في قوله تعالى (انظُرْ **كَيْفَ** نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ - المائدة75)

ثم يقول تعالى.

(كيف **نصبت**)

ونصبت بمعنى رفعت فجعلها الله تعالى أوتاداً كما في قوله تعالى(أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً – النبأ6-7) وبالتالي النُصُب المكان المرتفع الذي يذبح عليه كما في قوله تعالى (وما ذُبح على **النصُب** – المائدة 3) أي أن قوله تعالى وإلى الجبال كيف **نصبت** – الغاشية91) أي كيف رفعت. ثم يقول تعالى :

(20)وإلى الأرض كيف سطحت(20)

وهنا :

(وإلى **الأرض** كيف سطحت)

وهنا وإلى الأرض كيف سطحت أى سطحها وطحاها أى بسطها كما في قوله تعالى (**وَالأَرْضِ** وَمَا طَحَاهَا -الشمس 6) وفى هذه الأرض آيات للموقنين كما في قوله تعالى (**وَفِي الأَرْضِ** آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ - الذاريات20) والآيات في كيفية خلقها بأن بسطها وجعل خلالها سبلاً فجاجاً للسير فيها وشق الأنهار خلالها كما في قوله تعالى (وَجَعَلْنَا فِي **الأَرْضِ** رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ -الأنبياء 31) وقال تعالى (أَمَّن جَعَلَ **الأَرْضَ** قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ -النمل61) وهذه هى ظواهر كيفية خلق الأرض فماذا خلق الذين من دونه 0

ويقول تعالى بعد ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله :

(21) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21)

وهنا :

(فذكر) :

أى فذكرهم بالقرآن لقوله تعالى(**فَذَكِّر** بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ - ق45)

وهذه الذكرى ستنفع المؤمنين كما في قوله تعالى (**وَذَكِّرْ** فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ- الذاريات 55) وهنا المؤمنين هم الذين سيصدقون ويؤمنون بكتاب الله فإن آمنوا فذكرهم وإلا لاتذكرهم كما في قوله تعالى (**فَذَكِّرْ** إِن نَّفَعَتِ **الذِّكْرَى**- الأعلى 9) ثم يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله

(إنما أنت مذكر)

وهنا :

(إنما أنت) :

تؤدى لنفس المعنى السابق من أنك تنذر من يخشى في قوله تعالى (**إِنَّمَا أَنْتَ** مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا -النازعات45) فإذا خشى الله فقد تذكر كما في الآية هنا (**إنما أنت** مذكر)

وأما قوله تعالى (إنما أنت **مذكر**)

وهنا :

(مذكر)

أى جاءك ذكر من ربك لتنذر به كما في قوله تعالى (أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ **ذِكْرٌ** مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون – الأعراف63) ويقوم المذكر بتذكير الناس بذكر الله كما فى قوله تعالى (**فَذَكِّرْ** بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ - ق45)

وهكذا كان الأنبياء من قبل يذكرون الناس بآيات الله ولذلك يقول لهم نوح عليه السلام (يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي **وَتَذْكِيرِي** بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ -يونس71)

ثم يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله :

(22) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (22)

وهنا :

(بمسيطر)

أى متسلط عليهم [وفي قراءة بالسين بدل الصاد ، أي بمسلط وهذا قبل الأمر بالجهاد – تفسير الجلالين] .

وورد لفظ مسيطر في قوله تعالى (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ **المُسَيْطِرُون** - الطور37) أي أنهم لا يملكون شيئاً من أمر خلقه في سماءه ولا أرضه لذلك يأمره تعالى بتذكيرهم فقط كما قال تعالى هنا { فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم **بمسيطر** } وليس على الرسول إلا البلاغ وعليه تعالى الحساب فيسلط من يشاء من رسله عليهم فيقاتلهم حتى الإستئصال كما قال تعالى (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - الحشر6) وهذا التسلط والتعهد لا يكون إلا مع من تولى وكفر بالله تعالى كما قال عز وجل هنا في استثناء هؤلاء من رحمة الله تعالى :

(23)إلا من تولى وكفر(23)

وهنا :

(إلا من تولى)

[وتولى هنا بمعنى أعرض عنه – معجم الفاظ القرآن باب الواو فصل للام والياء] قال تعالى (فمن تولى بعد ذلك فأولائك هم الفاسقون – آل عمران 82) والتولي يكون إعراضاً عن طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عيله وآله لقوله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه **ولاتتولوا** عنهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ - الأنفال20)

ومن الذين تولوا عن ذكؤر الله المنافقون الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض والوارد ذكرهم في قوله تعالى فيمن عملوا بالهوى في كتاب الله تعالى فإن كان حكم الله وفق هواهم عملوا به وإن تعارض مع أهوائهم تركوه معرضين وهؤلاء من الذين عناهم الله تعالى هنا في أهل النار الذين قال تعالى فيهم وفي نفاقهم (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا **ثُمَّ يَتَوَلَّى** فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِم وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ – النور47-50) وهؤلاء كما بينا هم المنافقين الذين يأخذون من الأحكام ماوافق أهوائهم .

وأما قوله تعالى :

(وكفر)

الكفار هنا نوعين :

وأما النوع الأول كفر النفاق وكراهية الإسلام وشرعته وأهله :

فهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم و يخفونه في قلوبهم كراهية الإسلام وأهله قال تعالى فيهم : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي **الْكُفْرِ** مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ – المائدة41}

ومن هؤلاء الذين خرجوا على ولاية الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام وأولهم أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي نزل فيه قوله تعالى (إنما وليكم الله وروسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون – المائدة) ومن خرج على ولاية هؤلاء إلى ولاية الآباء والأجداد والإخوان فقد خرج على ولاية الله الحق والتي بينها في كتابه الكريم ناهياً عن ولاية غيرهم من الآباء والإخوان كما في قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آبائكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا **الكفر** على الإيمان ومن يتولهم فأولائك هم الظالمون - التوبة) .

النوع الثاني التاركين للعمل بما أنزل الله الرافضين لحكم الله تعالى :

قال تعالى { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولائك هم **الكافرون** – المائدة}

وهؤلاء نوعين :

الثالث : كفر الإعراض :

لقوله تعالى : { والذين **كفروا** عما أنذروا معرضون – الأحقاف 3 } والاعراض لقريش عن ذكر الله تعالى قال فيه { وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ – المؤمنون 91 } وهذا الإعراض من هذه الأمى مرتين الأولى في زمن رسول الله صلى لله عليه وآله وقال تعالى فيه { وما تأتيهم من بية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين – الأنعام 4 } ويشبه تعالى إعراض هؤلا عن ذكر الله تعالى كأنهم حمير مستنفرة هاربة من أسد سيلتهمهم قال تعالى في تشبيه شدة إعراضهم { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ – المدثر 49-51} وفي آخر الزمان أيضاً سيكررون أمر فرارهم من إمام آخر الزمان وعلماً سيكون محدث معه قال تعالى فيه { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ - الأنبياء 1-3 } .

النوع الرابع كفر الجحود :

[وجحد يجحد جحودا : أنكرهما وهو يعلم وجحد بالنعم أو بالآيات : كفر بها – معجم الفاظ القرآن باب الجيم فصل الحاء والدال]

قال تعالى فيه { وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً – النمل } وهؤلاء الظالمين بين تعالى أنهم لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وآله بل كانوا يصفونه بالصادق الأمين ومع ذلك رفضوا ذكر الله تعالى فأطلق عليهم أنهم ظالمون جاحدون لآيات الله تعالى كما في قوله عز وجل { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ - الانعام 33 } .وهؤلاء لهم دار الخلد في جهنم كما في قوله تعالى { ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ – فصلت 28 } .

النوع الخامس :

كفر الإستكبار :

[واستكبر : تعاظم ولم يخضع عناداً أو ترفعاً – معجم الفاظ القرآن باب الكاف فصل الباء والراء] قال تعالى { وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ - الجاثية 7-10 }

قال تعالى فيه { وإذ تتلى عله آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها – لقمان 7 } وهؤلاء هم الذين كفروا بدعوة الرسل كما قالوا لنبي الله صالح عليه السلام { قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ **كَافِرُونَ** – الأعراف 76}

والنوع السادس :

كل من تمتع بالحياة الدنيا دون أداء حق الله تعالى في ماله غير عابئ بحلال أو حرام فهو كالأنعام قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ **كَفَرُوا** يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ - محمد 12 } و كل هؤلاء يجتمعون تحت مظلة حب الدنيا والعمل لها دون أداء حق الله تعالى من عبادة وطاعة وإخراج حق الله تعالى في المال كما في قوله تعالى : { وَوَيْلٌ **لِّلْكَافِرِينَ** مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ -إبراهيم 2- 3}

وهؤلاء قال تعالى فيهم أنه سيعذبهم العذاب الأكبر كما في قوله تعالى :

(24) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24)

وهنا :

(فيعذبه الله العذاب الأكبر)

لايأتى هذا العذاب الأكبر إلا بعد عذاب أصغر في الدنيا بالقتل والتسلط من حزب الله المؤمنين الذين تولوا الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام على حزب الشيطان ولذلك يقول تعالى (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ **العَذَابِ** الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ **الأَكْبَرِ** لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ - السجدة21) ومادامو لم يرجعوا ولم يتوبوا فيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر إلى العذاب الأكبر بالآخرة والذي قال تعالى فيه (كَذَلِكَ **العَذَابُ وَلَعَذَابُ** الآخِرَةِ **أَكْبَرُ** لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ - القلم33) .

ثم يقول تعالى :

(25) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25)

وهنا :

(إن إلينا)

أي كما قال تعالى (**إن إلى** ربك الرجعى) فإذا رجع فهذا إيابهم إلى الله تبارك وتعالى كما في الآية هنا ((**إن إلينا** إيابهم)

وأما :

(وإيابهم)

[أى رجوعهم] وهو شر إياب قال تعالى فيه (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ **مَآبٍ** - ص55)

وهذا المآب إلى جهنم كما في قوله تعالى(إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلطَّاغِينَ **مَآباً** – النبأ21- 22)

ثم يقول تعالى بعد رجوعهم :

(26) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)

وهنا

(ثم)

يرد هذا اللفظ في قوله تعالى { قلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ **ثُمَّ** اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ – العنكبوت 20 } فإذا أنشأهم الله تعالى النشأة الآخرة فعليه عز وجل حسابهم كما في الآية هنا { **ثم** إن علينا حسابهم } .

وأما :

(إن علينا حسابهم**)**

أي إنه تعالى يقول { **إن علينا** للهدى و**إن** لنا للآخرة والأولى } فإذا رجعوا إلى الله تعالى فعليه حسابهم كما قال تعالى هنا { ثُمَّ **إِنَّ عَلَيْنَا** حِسَابَهُمْ }

وأما

(حسابهم)

وهنا يقول تعالى لهم يوم القيامة بأن يقرأوا كتاب أعمالهم وكفى بأنفسهم على أنفسهم حسيباً كما في قوله تعالى : { اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ **عَلَيْكَ حَسِيباً** -الإسراء14} وذلك يومك الحساب وهو على الله تعالى كما قال تعالى (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغ **وَعَلَيْنَا الحِسَابُ** -الرعد40) وكفى بالله حسيباً كما في قوله تعالى { وَكَفَى بِاللَّهِ **حَسِيباً** -النساء6} وبالتالي ليس على أحد حساب هؤلاء ولا حتى رسول الله صلى الله عليه وآله فإنما عليه وعلى الأئمة من بعده البلاغ وعلى الله تعالى الحساب و لذلك قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله **{ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم** مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ **حِسَابِكَ عَلَيْهِم** مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مَنَ الظَّالِمِينَ - الأنعام52} .

هذا وبالله التوفيق وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

خالد محيي الدين الحليبي